مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مَجَلَّةٌ - إِسْلَامِيَّةٌ - ثَقَافِيَّةٌ - جَامِعَةٌ - مُحْكَمَةٌ

تَصْدُرُ سَنَوِيًّا عَنْ

كُلِّيَّةُ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

العددان التاسع والعشرون والثلاثون

لسنة 1436 - 1437 الهجرية الموافق: 2015 - 2016 الميلادية

العربية لغة واصفة

أ.د. عمارة حنيّن بيّت العافية
كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس - ليبيا

الحمد لله العظيم الذي أنزل القُرآن الكريم ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[1] فنعت العربية بالبيان، وفضّلها على ما نُطق بسواها من لسان، فعزّز مقامها وبوّأها مكانة عليّة، لا تدانيها فيها لُغة أُخرى، لأن الله تعالى فوق هذا التشريف تكفّل بحفظها. والصلاة على خير من نطق بها محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد، فهذا البحث يقوم على أساس تقرير حقيقة بيّنة لا يجادل فيها أهل العلم بالعربية، ولا يقفون عندها متشكّكين، هي أن العربية لُغة تمتاز بقدرة كبيرة على وصف الأشياء وبشكل يُحيط بالموصوفات ويجلّيها، ويُتيح فرصَ المعرفة الوثيقة بها. كلّ ذلك في قوالبَ لغويةٍ رصينة تيسِّرُ الوصول إلى المعنى، وتُبعد اللبس في فهم المراد منه. حتى إنه ومن خلال ترجمات مقطوعات نصوص بين العربية وسواها (الإنجليزية مثلاً)، يجد الدارس وضوحاً في النص العربي، وشيئاً من الاحتمال والتأويل في الأُخرى.

لكن ظهر بين أظهرنا كثر لا يقيمون للعربية وزناً، ولا يحرصون على استقامة ألسنتهم، بل ويجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق، فيذهبون إلى حدّ

(1) سورة الشُّعراء، الآية: 195.

التصريح بالقول: إن العربية لُغة يقصر باعها عن خوض العلوم، ولا تتعدّى كونها لغة شعر.

لقد ظهر علناً في الشارع مروق صارخ، تمثّل في تسمية المحلّات التجارية بأسماءٍ أجنبية، وكتابة بعض اللافتات بلغات أُخر، وكتابة بعضها بلهجة عامية ركيكة، وتلطّخت كثير من الحيطان بكتابات سَفل محتواها وسفلت لغتها، وتجرأت أقلام لتنشر بلهجة محلية قد لا يتجاوز انتشارها مسافة مائة كيلومتر، وتعرض الشاشات وجوهاً تتجرّأ فتنطق كما تأتّى لها، ودون مراعاة لأبسط قواعد اللغة، وظهر من بيننا من يكتب وينشر بالليبي.

كلّ ذلك وفي جرأة لا تخلو من سوء أدب مع الفصيحة، وبجهل مُطبق لا يستحيي أصحابه من إعلانه، مع يقيننا أن اللُّغة الفصحى أعزُّ من أن تنال منها سقطات العابثين. وهذا السقوط إنما هو عنوان على أهله، ألا ترى أن القول: هذا لغته منحطة، وهذا لغته راقية، لا يعدو الشخص؟ أما اللُّغة العربية فلا تنزل عندما يسيئون التعبير بها، بل ينزل شأن المسيء في تعبيره.

من هنا جاء هذا الجهد هادفاً إلى تأكيد أن العربية لُغة وصف وبامتياز، والشواهد أكثر من أن تستوعبها ورقات أو يُحيط بها قلم عَجِل. وبذا يكون الاكتفاء -هنا- بما يزيل كلّ غشاوة عن كلّ ذي مسكة من عقل، ومن أمثلة التنوّع والشمول والدقة في التعبير باللغة العربية:

1. تخصيص ألفاظ محدّدة وتنوّعها ودقيقة لوصف أوضاع مختلفة لشيء واحد؛ (المشي وما في حكمه مثلاً):

أ. تقول في؛ مَشي الإنسان، وما في بابه من حركات:

- رأبَلَ، أي: مشى متكفئاً في جانبه، كأنه يتوجَّى.
- رَجِلَ (راجِل، ورَجيل): إذا لم يكن له ظهر يركبه.
- هَرْول، الهرولة: بين العَدْو والمشي.

- هَزِفَ، الهَزِفُ: السريع.
- هَطَعَ: أسرع مقبلاً خائفاً ﴿مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ﴾[1].
- هُرِع، الهَرَع: مَشيٌ في اضطراب وسرعة.
- هَرْكَل، الهَرْكَلة: مَشيٌ في اختيال.
- هَرَب: جَدَّ في الذهاب مذعوراً.
- السِّبَطرَى: مشية فيها تبختر.
- التَّخَاجُؤ: المشي ببطءٍ.
- أسْرَع: جَدَّ في السير.
- ذَحْذَحَ: قارَبَ الخطوَ مع سرعة.
- التَّذفَّافُ: السريع.
- رَفَل: جَرَّ ذيلَه وتبختر.
- رَكَضَ، الرَّكض: العَدْو. وأركض: حثّ الفرسَ (مثلاً) على العَدْوِ.
- رَمَلَ: هرْوَل.
- رَهْوَكَ، مَرَّ يترهوك: كأنه يموج في مشيته لاسترخاء المفاصل.
- الأَتْوُ: الاستقامة في السير والسرعة.
- أتيته (أتياً وإتياناً ومأتاة): جئته.
- انسلَّ وتسلّل: انطلق في استخفاء.
- تَسَهْوَكَ: مَشى رويداً.
- الجَيَضُ: مشية تبختر واختيال.
- الدَّلدلة: تحريك الأعضاء والرأس في المشي.

(1) سورة القمر، من الآية: 8.

- سَرَبَ: سار بالنهار.
- سَرَى: سار من أول النهار.
- دَلَجَ: سار من أول الليل.
- دَلَحَ: مشى بحمله منقبض الخطو لثقله.
- أقبل فلان حثيثاً: مسرعاً حريصاً.
- أقبل كميش الإزار: مشمّراً جاداً.
- أوفض واستوفض: أسرع على عجل. واستوفضه: طرده واستعجله.
- أغذ السير: أسرع.
- الوحَى: السرعة والتعجّل، والوحِيُّ: السريع المتعجّل، تقول: سار سيراً وحيّاً:
- مرّ يهتلك في عَدْوه، ويتهالك: إذا جدّ.
- انصلت يعدو: إذا جرى في منحدر.
- جاء يمشي على رِسْلِه: جاء متمهّلاً.
- أقبل يُهَوِّدُ في مشيه: فيه تباطؤ وميل.
- تَبِعَ القومَ: إذا سبقوه فمشى في إثرهم.
- التّخَلُّعُ: التفكّك في المشية.
- الاندراع: التقدّم على الرفاق في السير.

وغير هذا كثير.

ب. **وفي مشي وجري الدواب، تقول:**

- رَسَفَ: مَشى مَشْيَ المُقيَّد.
- جَمَحَ: أسرع في اضطراب، مع انحراف عن المسار.

- أرخَى، الإرخاء: شدة العدو.
- قرَّب، التقريب: ضرب من العدو. قرَّب الفرسُ: إذا رفع يديه معاً ووضعهما معاً في العَدْو، وهو دون الحُضر.
- الحُضْرُ: العَدْو، وهذا فرس مِحضير: كثير العدو.
- هيدب، (الهيدبَى): جنس من مشي الخيل فيه جِدّ.
- همْلجَ، (الهَمْلجَة): حسن سير الدابة.
- هفَّ، (الهفيف): سرعة السير.
- الدَّيداء: أشدُّ عدو البعير.
- الذميل: السير الليِّن، أو فوق العَنَق.
- العَنَق: سير مُسْبَطِرٌّ، للإبل والدابة.
- الرَّسيم: سير للإبل.
- رَقل وأرقل: أسرع، وناقة مِرْقال ومِرْقِل: مسرعة.
- الرّهمان في سير الإبل: تحامل وتمايل.
- الرَّهو: السير السهل.
- سَجَح، السَّجْح: جري دون الشديد للدواب.
- قزَع الظبيُ، وقزع الديكُ: إذا خَفَّ في عَدْوِه هارباً.
- دَلفَ: مَشَى مَشيَ المُقيَّد، وفوق الدبيب.
- الدبيب: أهون المشي، وناقة دبوب: لا تكاد تمشي من كثرة لحمها إنما تدبُّ.
- النَّصُّ: سير للدواب فوق العنق. وفي الحديث الشريف «كان يسير العنق فإذا رأى فجوة نصّ»[1].

(1) **صحيح البخاري**، كتاب الحج، باب السير إلى دَفع من عرفة، حديث رقم: 1666.

- فرس بعيد الشحوة: بعيد الخطو.
- فرس رغيب الشحوة: كثير الأخذ من الأرض بقوائمه.
- الرَّبَعَة: أشدُّ عَدْو الإبل، إذا ضرب البعير بقوائمه كلّها[1].

وغير هذا كثير.

2. اتساع اشتقاق المفردات من جذر واحد، والدقة في دلالة المفردات على مسمياتها:

بالاشتقاق يمكن تحديد الكلمة وربطها بأخواتها وبالمجموعة التي تنتسب إليها[2]. ومن مرونة العربية وقابليتها للاشتقاق -بتفرّع ألفاظ متعدّدة من لفظ واحد- صارت لدى العربية سعة كبيرة في رصيد الكلمات، مكّنت من تغطية الحقول المختلفة لما يراد التعبير عنه.

أ. تقول في (رحل) وما يشتق منها:

- رَحَل (كمَنَع): انتقل.
- الرَّحْل: مركب البعير. جمعه: أرْحُل ورِحَال.
- الرَّحْل: مسكنك، وما تصطحبه من أثاث.
- الرِّحَالة: السَّرْج.
- ارتَحَله: حطّ عليه الرحل، فهو: مَرْحول ورَحيل.
- الرَّاحِلَة: الصالحة لأن تُرحَل.
- ارْتَحَلها: راضها فصارت راحلة.

(1) الجوهري، **الصحاح**، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت، ط4، 1987م، 3/ 1213.

(2) صبحي الصالح، **دراسات في الفقه اللُّغة**، دار العلم للملايين-بيروت، ط7، 1978م، ص180.

- ارتحل القومُ عن المكان وارتحلوا: انتقلوا، والاسم: الرِّحْلة والرُّحْلة.
- الرَّحيل: اسم ارتحال القوم.
- أرْحَل فلاناً: أعطاه راحلة.
- اِرْحَلْ: فِعلُ الأمرِ بطلب الرحيل.
- راحِل: فاعل الرحيل.
- رُحَّل (كَرُكَّع): جمع راحل.
- المرحلة: واحدة المراحل.

ب. وفي مادة؛ (ربط)، وما يشتق منها، تقول:

رَبَطه (يربطه): شدَّه.

الرَّبْط: الشَّدُّ والتقييد.

مَرْبَط ومَرْبِط: موضع الربط.

الرِّباط: ما رُبطت به (القربة أو الدابة، مثلاً)، جمعه: أربِطة.

المُرابَطة: ملازمة ثغر العدو.

الرِّباط: موضع ملازمة ثغر العدو. جمعه: رُبُط.

المُرابِط: واحد المرابطين في الثغر.

الرِّباط: الخيل.

رِبَاط الخيل: مرابطتها.

خلَّف جيشاً رابطة: عنده خيل.

ارتَبَط فرساً: اتخذه للرباط.

الرَّبيطة: ما ارتُبط من الدواب.

الرَّبيط، يقال: نعم الرَّبيط هذا؛ لما يُرتبط من الخيل.

رابط الجأش وربيطه: شجاع.

رَبَط جأشُه: اشتدَّ قلبه.

رَبَط الله تعالى على قلبه: ألهمه الصبر وقوَّاه.

ماء مُترابط: دائم لا يُنْزَح.

الرَّابِطة: الشيء الذي يجمع أفراداً.

جمع رابطة: رابطات وروابط.

3. ومن أمثلة تخصيص مفردات متعدّدة لتوصيف أحوال مختلفة تتعلق بموضوع واحد:

أ. تقول في الناقة:

- ناقة عائذ: حديثة النتاج.
- ناقة ماخض: ضربها الطلق لوجع الولادة.
- ناقة شامذ: لقحت فشالت بذنبها.
- ناقة شائل: ترفع ذنبها.
- ناقة بائك: فتيّة حسنة، سمينة.
- ناقة شمردل: سريعة.
- ناقة واسق: حملت واستقرّ حملها.
- ناقة قارح: استبان حملها.
- ناقة حائل: ليست حاملا.
- ناقة خادج: التي تلقي ولدها قبل تمام الأيام.
- ناقة راجع: تشول بذنبها وتجمع قِطريها وتوزّع بولها، فيُظن أن بها حملاً، ثم تُخلف.

- ناقة رَجْعَة: تباع ويُشترى بثمنها مثلها.
- ناقة فارق: أخذها المخاض فندّت في الأرض.
- ناقة واله: إذا اشتدّ وجدها على ولدها.
- ناقة دارِئٌ: بها غُدة في الظهر أو في المراقّ.
- ناقة مُدْرِئٌ: إذا أرختْ ضرعَها وأنزلت اللبن، فقد أدرأت.
- ناقة فاطم: إذا بلغ حُوارها سنة، ففُطم.
- ناقة شارف: مسنّة.
- ناقة باهل: لا صِرار عليها.
- ناقة ضارب: التي تضرب حالبَها.
- ناقة عاسر: استعصى ولادها.
- ناقة عائط، وعيطاء: طويلة العنق.
- ناقة غارز: قليلة اللبن.
- ناقة قعساء: مال رأسها وعنقها نحو ظهرها.
- ناقة جلنفعة: جسيمة، واسعة الجوف تامة.
- ناقة مخروعة: مجنونة.
- ناقة مُذارٌ: ساء خُلقها.
- ناقة قسُوْسٌ: ترعى وحدها.
- ناقة خَلِفَة: واحدة الحوامل من النوق.
- ناقة قرواح: طويلة القوائم.
- ناقة مُذيرَّة، (التذيير): أن تُلطخ أطباءُ الناقة بالذيار، وهو بعر رطب، لئلا يرضعها الفصيل.
- ناقة أمونٌ: صُلبة.

- ناقة دِلاث: جريئة على السير سريعة.
- ناقة حَرْف: ضامر.
- ناقة دلقِم: تكسَّر فوها وسال لعابها.

ب. **في الأكل**[1]:

- لَقِمَه (بفتح ثم كسر) والتقمه: إذا أخذه بفيه.
- تلقَّمه: أخذه على مهل.
- لَمَج، اللمْجُ: الأكلُ بأطراف الفم.
- مضغ اللقمة: طحنها بين أضراسه.
- لاسَ اللقمة (لوساً): إذا قلبها بلسانه.
- لاكَ اللقمة (لوكاً): إذا قلبها ومضغها.
- عَلكَ (علكاً): إذا لاكها لوكاً شديداً.
- يهمِش الطعامَ، ويهمِسه: يمضغه وفوه مُنْضَمٌّ.
- الهَمْس: أكلُ العجوزِ الدرداء.
- قطمَ الشيءَ: تناوله بأطراف أسنانه، فذاقه أو كان في حال شبع عنه.
- لمَجَه ومَطعَهُ: أكله بأدنى فمه، أي: بمقدّم أسنانه.
- قضَمَه: كسره بأطراف أسنانه، وأكله (خاص بالشيء اليابس).
- كثم القِثَّاءَ والجزَرَ ونحوه: أدخله في فيه وكسره.
- خضمه: أكله بجميع فمه، وبأقصى أضراسه.
- ومثله؛ كشأه وكشمه: إذا أكله أكلاً عنيفاً.

(1) صالح العلي وأمينة الشيخ سليمان الأحمد، **كتاب الروضة الندية**، الناشرون العرب-الرياض، 1992م، ص97-101.

- كزم الفستقة ونحوها: كسرها بمقدَّم فيْه واستخرج ما فيها ليأكله.
- نقفَ الرمانة: قشرها ليستخرج ما فيها.
- مَعدَ الصمغة ونحوها: تناولها بفيه فمصَّ جوفها.
- مكَّ العظمَ وامتكّه وتمكّكه: امتصَّ ما فيه من المخّ.
- امتخّه وتمخّخه: أخرج مُخَّه امتصاصاً.
- مشّ العظم وامتشه وتمششه: مصّه ممضوغاً. والمشاش (بالضم): رؤوس العظام اللينة التي يُمكن مضغها.
- سَفَّ السويقَ ونحوه: إذا تناوله دون خلط بالماء ونحوه. والسويق في هذه الحال؛ سفوف.
- لعَق العسلَ، بالإصبع أو بالمِلعقة. والعسل هنا؛ لَعوق (بالفتح)، الواحدة منه؛ لُعقة (بالضم).
- لطعَ الشيء ولحسَه: إذا أخذه بلسانه. ولطع أو لحس أصابعه: مصَّ ما عليها.
- تلمَّظ الطعامَ، أو تلمَّج: إذا أخذ بلسانه ما بقي في فمه بعد الأكل، أو أخرج لسانه فمسح به شفتيه.
- بلع الطعام، وسرطه (بفتح أو كسر الراء) وزرده (بكسر الراء) وازدرده: إذا أحدره في حلقه.
- لهمه والتهمه: إذا ابتلعه في مرة واحدة.
- دَبَل اللقمة ودبَّلها (تدبيلاً): إذا جمعها بأصابعه وكبَّرها. والدبل والنَّبْر: للقم الضخمة.
- ساغ الطعام في حلقه: إذا انحدر.
- انسرط الطعام في حلقه: إذا سار فيه سيراً سهلاً.
- هنؤ الطعام: ساغ ولذ.

- مرؤ الطعامُ: إذا انحدر خفيفاً على المعدةِ.
- هنيئاً مريئاً: سائغاً حميداً.
- غَصَّ بالطعام (غَصَصاً، بفتحتين): وقف في حلقه لا يكاد يسيغه. وهو غاصٌ باللقمة وغصَّان.
- اعتصر من غُصَّته: إذا شربَ الماءَ عليها قليلاً قليلاً.
- شَجِيَ بالعظمِ ونحوه: إذا اعترض في حلقِه.
- وكَدِيَ بالعظمِ: إذا اعترض في حلقه (وهذا للكلب خاصَّة). تُعْتُ السَّمن أتوعه توعاً: إذا أخذت منه بقطعة خبز لرفعه بها.
- ساغَتِ الغُصَّة، وجازتْ وحارتْ: إذا انحدرت.
- أساغها وأجازها وأحارها: إذا حاول أن يتجاوزها.
- تَخِمَ من الطعامِ: إذا ثقل على معدته فلم يستمرئه. والتّخَمة (بضم ففتح).
- وهذا طعام مَتْخَمة: يسبّب التخمة.
- استوخم الطعام: لم يستسغه.
- غَمِتَ الرجلُ: إذا ثقل الطعامُ على معدته، فصيَّره كالسكران.
- قاء ما في جوفه، وهاعه وقذفه وأطلعه: إذا كَثُر القيءُ لديه.
- تقيأ واستقاء وتهوَّع: إذا تكلّف القيءَ.
- قلس الرجل (قلساً): إذا خرج من الطعام شيء قليل.
- إذا زاد ذلك عن مِلءِ الفم وطرحه خارجاً، أو تكرّر فهو قيء.
- أكلة أورثت فلاناً خِلفة (بكسر أوله): ألزمته التردّد إلى الخلاء.
- أخذ الرجل مُشاء (بضمِّ أوله)، بمعنى: مشى بطنه، وانخرط واستطلق وأُسْهِل (الأخيرة على المجهول).

- أخذه هَيْضة (بالفتح): قيء وتردّد على الخلاء معاً.

4. وتتضح دقة الوصف في تخصيص ألفاظ للمذكر وألفاظ للمؤنث من أجناس شتى:

ففي لسان العرب باب كبير للمذكّر والمؤنّث فيه تفصيل كثير ومؤلّفات. بل وذهب علماء اللُّغة إلى حدّ اشتراط المعرفة به للمعرفة بالنحو والإعراب. وميّزوا المؤنث وحدّوا أقسامه؛ بالعلامة الفاصلة أو الاستغراق في التأنيث، أو مخالفة لفظ مؤنّثه لمذكّره، أو وقوع العلامة للمؤنّث والمذكّر.

ولا يخفى على دارسي اللُّغات أن كثيراً منها يجعل اللفظة الواحدة ليعبّر بها عن المذكّر والمؤنّث.

أما في العربية فلم يغادروا لفظة إلا وتوقّفوا عندها، وبيّنوا موضعها بين مذكّر أو مؤنّث، أو مجازي، أو مشترك، ومن الأمثلة:

الجرادة تقع على المذكّر والمؤنّث، ويقال للمذكّر من الجراد: عُنْطب، وجمعه: عَناطِب.

وفي القنفذ يقال للذكّر: الشيْهَم والدلدل وأنقد وابن أنقد، وفي المثل: (هو أسرىَ من أنقد).

يقال لذكر النعام: الظَّليم.

ولذكَر الضفادع: العُلجوم.

ولذكر السلاحف: الغَيْلم.

ولذكر العنكبوت: الخَدَرْنَق.

ولذكر الأرنب: خُزَز، وللأنثى: عِكْرِشَة.

القُبُّجة تُطلق على الحَجَل (الذكر والأنثى) حتى إذا قلت يَعقوب اختصّ بالذكر.

والنعامة حتى تقول ظليم.

والنحلة حتى تقول يَعسوب.

والدُّرَّاجة حتى تقول حَيْقُطان.

والبومة حتى تقول صدىً أو فيَّاد.

والحُبارى حتى تقول خَرَب.

وغير هذا في باب المذكّر والمؤنّث كثير.

5. ومن الدقة في تخصيص اللفظة الواحدة (من حيث رسمُ حروفها) وذلك بأن توضع عليها علامات الضبط، فيظهر التمايز وتؤدّي كلّ مفردة معنىً مخصوصاً:

إن ظهور الحركات على الحروف يجعل صور الحرف الواحد متعدّدة بالدرجة التي تسمح باستعمال تلك الصور في مواضع كثيرة، وهذا يزيد من سعة اللُّغة وقابليتها لاحتضان كمٍّ هائل من المفردات، بما يسمح بوجود مسمّيات وتوصيفات تكاد تكون لا متناهية. في حين لا تكاد توجد الحركات على الحروف في أغلب لُغات الشعوب، حيث يكتفون بالتسكين.

أ. تقول في؛ (ورد):

- وَرَدَ: حضر.
- وِرْدٌ: جزء، تقول: قرأت وِردي.
- وِرْدٌ، وكذا وُرَّاد: جمع وارد، وهو الذي يرد الماء.
- وَرْدٌ: نبت معروف اللون والرائحة، واحدته وردة.
- وَرُدَ، (يَوْرُدُ وُرُوْدَة): صار بلون الورد.

ب. تقول في؛ (لبس):

- لَبِسَ الثوبَ: ارتداه.
- لَبْسٌ: مصدر (لَبَسْتُ عليه الأمرَ، بمعنى؛ خلطته).

- لُبْسٌ: مصدر (لبِسْتُ الثوبَ، ألبَسُه).
- لَبَّسَ: تصلح للمعنيين السابقين.
- لِبْسُ الكعبة: ما عليها من لباس.

ج. **تقول في؛ (نشر):**

- نَشَرَ: أذاع، وزّع.
- نَشَرْ (تُ) الخبرَ: أذعتُهُ.
- نُشِرَ (على المجهول) : أذيْعَ.
- نُشِّرَ (على المجهول): من التنشير؛ (الرقية).
- نُشْرَ (ةٌ)، واحدة ما يُكتب من رقية.
- نَشَرَ، نَشَرَتِ الأرضُ: إذا أنبتت.
- نَشْرٌ، النَشْرُ: الكلأ إذا يبُس ثم أصابه مطر في دبر الصيف اخضرَّ.
- نَشْرٌ، النَشْرُ: الرائحة الطيبة.
- نَشَرٌ، النَّشَرُ: المنتشر.
- نَشَرٌ، النَّشَرُ: أن تنتشر الغنم بالليل فترعى.
- نُشُرٌ، رياحٌ نُشُرٌ: مبسوطة موزّعة.

6. سعة اللسان العربي وجمال أصواته وعمقها وغناها:

«ترجع أسرار فصاحة اللُّغة العربية واستقلال مخارج حروفها في أبجديتها ووضوحها وعدم وقوع الالتباس بينها، واشتمالها على سائر الحروف التي لم توجد في غيرها من اللُّغات إلى عوامل أشار إليها الأستاذ العقاد»[1]، ملخّص

(1) عبد الغفار حامد هلال، **أصوات اللُّغة العربية**، مكتبة وهبة-القاهرة، ط3، 1996م، ص66.

تلك العوامل[1]:

- تطوّر العربية جاء بمشاركة كثير من القبائل في الجزيرة، فأُتيحت فرصة انتقاء من متعدّد.
- تأخّر التدوين عن الخطابة يسّر موت اللهجات المرذولة، وجاء التدوين لاحقاً، فثبت من الكلام ما هو حسن.
- تمّ التطوير بمعزل عن الآخرين، فاتخذ خصوصية.
- أتاحت طبيعة بلاد العرب نقاء في التفرقة بين الأصوات، فانعكس ذلك في اللسان العربي.

لقد استعمل العرب في نطقهم كلّ الأعضاء الجسدية ذات العلاقة بالصوت، وهي: (الرئتان، القصبة الهوائية، الحنجرة، الحلق، اللسان، الحنك الأعلى، الأسنان، الأنف، الشفتان).

وينتج الجهاز الصوتي عدداً ضخماً من الأصوات لا يمكن حصره، إلا أنّ كلّ لُغة اتخذت لنفسها عددا معيّناً من الأصوات[2]، ومن بينها العربية التي بُنيت على دقة متكاملة في استعمال اللسان، حتى وصل عدد حروف الهجاء فيه تسعة وعشرين حرفاً، وزيد عليها ثمانية مستحسنة يؤخذ بها في القرآن الكريم وفصيح الكلام[3]. هذا إذا لم نضف الحركات التي تظهر على الحرف الواحد فتجعل منه أربعة حروف في الأغلب.

هذا التوسّع اللساني أتاح سيلاً وافراً من المفردات التي تنوّعت فغطّت على المراد وصفه، وفي دقة مخارج وصلت إلى حدّ ربع المقام (بلُغة الموسيقيين)، وكذا نقاوة أصوات ووضوحها.

(1) عباس محمود العقاد، الأبجدية العربية أكمل الأبجديات، **مجلة الأزهر**، 1962م، ص433 (بتصرف).
(2) عبد الغفار حامد هلال، **أصوات اللُّغة العربية**، ص39.
(3) المرجع نفسه، ص77 (بتصرف).

7. قابلية اللغة العربية لاستيعاب مفردات من اللغات الأخرى:

إن بين اللغات القليلة التي تمازجت مع غيرها أخذاً وعطاء ودون ذوبان تبرز اللُّغة العربية مؤثّرة في غيرها، آخذة من سواها خير ما لديهم من مزايا. واتسمت بظاهرة الإقراض أكثر من الاقتراض لأسباب تتعلق بنسيجها الذاتي الغني ومنشئها الأصيل[1]، فاستوعبت ما نُقل إليها، وسبكته بقوالبها، وكسته من فصاحتها. وقد ظهر أجلى وأجل أخذ ومزج من اللُّغات الأُخرى في العربية من خلال القُرآن الكريم.

ولقد كانت -ولا زالت- للعربية مناعة ذاتية، تؤهّلها للحيلولة دون تسرّب الدخيل إليها ما لم يكن قد هُذّب وطُبع بطابعها.

هذه الميزة تساعد في احتواء أية فكرة وتيسّر التعبير عنها، بحيث لا تقف المفردة المعبِّرة المفقودة في طريق تداول اللسان للأفكار، وبذا يتيسّر الوصف الملائم للموضوع. ومما زاد في تعميق فكرة الأخذ والاحتواء؛ أن الدين الإسلامي جاء حاثّاً على العلم والبحث عن الحكمة أنّى كانت فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، وهذا أتاح الفرصة لعدم التحرّج في الأخذ من الآخرين مع مراعاة قدسية اللسان، وخاصيته المميّزة في الاستقلال عن أن يذوب في سواه.

وقد جدّ في باب التعريب كثير من الألفاظ التي طرأت لتوصيف مستجدات حضارية لم يكن لها في أية لُغة مسمىً. والعربية من أطوع اللُّغات لاحتواء وتمثّل المفردات، وسبكها في قالب يتناغم مع اللسان العربي.

8. تنوّع موضوعات اللسان العربي:

يظهر معجم ألفاظ اللُّغة العربية من بين المعاجم الكبيرة عند مقارنة اللُّغات. ومرجع هذا إلى أن العرب قد تكلّموا في (كلّ) أمر خالط حياتهم،

(1) صبحي الصالح، **دراسات في فقه اللُّغة**، ص349 (بتصرف).

وبشكل دقيق عبروا عن الأشياء من حولهم، ويندرج عدّ وحصر ما تحدّثوا فيه من ضمن الأبواب الواسعة.

فقد وصفوا خَلقَ الإنسان وأعضاء الجسد ومنها الحواسّ، ووصفوا الغرائز والمَلَكات وحركات النفس وانفعالاتها، وما يطرأ على جسم الإنسان مما يتعلّق بالحياة والموت، وخاضوا في وصف الأصول والأنساب والكره والمحبة، وما يعرض من علاقات بين البشر فرادى وجماعات، وتكلّموا في نتاج العقول، وميّزوا بين ما يجوز وما يحسن وما يمتاز، وتوقّفوا عند مواطن العيّ والإعجاز، وتكلّموا في الأخلاق فما تركوا منها لمستزيد قليلاً.

هذا من باب التمثيل لما تكلّموا فيه، وبذا يظهر التوسّع المعجمي الفائق. هذا التوسّع يفيد المحدثين في أن العربية تتسع للتعبير، وما لا يوجد فيها -مما لم يكن له وجود في واقع العرب- فلديها قدرة على استيعابه، ولا يضيق معجمها به.

9. كثرة المفردات العربية المقابلة لمفردة أجنبية واحدة:

وهذا يدلّل على توسّع وتدقيق في التسمية للأشياء بحيث يندر اختلاطها في العربية، وتؤدّي اللفظة في اللُّغة العربية المعنى المراد بجلاء وفي الأغلب الأعم بلا قرينة، هذا الأمر تفتقده لُغات كثيرة، يستعمل فيها اللفظ الواحد للتعبير عن أشياء متعدّدة، مما يحوج إلى الاستعانة بالقرينة بغرض تبيّن المعنى المراد.

وهذه بعض الأمثلة من بين كلمات عربية عديدة تقابلها مفردة واحدة، في (الإنجليزية):

cock

يقابلها في العربية: ديك، حنفية، صمّام، لسان الميزان، شاهد، زند البندقية، قوّم، كوّم، حزم، رفع الزناد، كومة علف، كدّس (العلف)، لقّم، أصاخ، شمّر (عن ذراعيه).

Commission

يقابلها في العربية: مأمورية، عمل، وصية، تفويض، تكليف، وكالة، عمولة، عرق، سمسرة، براءة، تصريح، لجنة، عَهِد إلى، فوّض، وكّل إلى، أقام على، عيَّن، ندب.

Composition

يقابلها في العربية: مركّب، تركيب، بنية، قطعة موسيقية، إنشاء، تصنيف، تأليف، ترتيب، نظام، شرط، اتفاق، تعديل، تسوية، تناسب، صف أو جمع أو تنضيد حروف الطباعة.

Compromise

حلٌّ موفق، حلّ وسط، اشتراط، اتفاق، تراضٍ متبادل، تسوية، صلح، تسليم، وفّق، سوّى، عرّض للخطر، أوقع تحت الشبهة، تعرّض للظنون، حطّ من شرفه، قبل التسوية.

Extend

وسَّع، مدَّ، امتد، بسط، أطال، أسهب، نشر، انتشر، كبَّر، أجهد، عمّم، قدَّر (قيمة أرض أو بناء)، مَذق (غشّ بإضافة مادة رخيصة)، قدّم، تقدّم إليه بكذا، أذاع، وصل إلى، لحق بـ، شمل، دام، تمدّد.

Foot

قدَمُ (الإنسان)، قدَمٌ (مقياس)، رِجْل، قائمة، سفْحُ (جبل)، قاعدة، أسفل، حضيض، ذيل، طرف، تفعيلة (عروض)، رَجِلَ (مَشى على قدميه)، داس (وطئ)، ركل (ضرب برجله)، جَمَعَ (أرقام قائمة)، رَقَصَ.

Hold

قبضة، تمسّك، ضبْط، سلطة، قدرة، نفوذ، جوف السفينة، حصن، قبض على، استمسك بكذا، حبس، حجز، أوقف، اقتنى (مَلكَ)، حَمل،

حَوى، وَسِع، حاز، حسِب، اعتبر، ظنَّ، اعتقد، أصرَّ على.

النتيجة:

في حقيقة الأمر لا يدّعي البحث أنه جاء بشيء جديد كان غائباً عن الأذهان، لكن التوضيح وتأكيد المؤكّد قد يكون له وقع في زمن التردّي، الذي طال اللسان ونزل به عما كان له من البيان.

والذي ليس عليه خلاف هو أن اللُّغة العربية لغة وصف دقيق، طوّعها أهلها فكانت مطواعة استجابت لكلّ ما راموا وصفه، فيسرت تصويره بالكلمة.

وهنا تكون وقفة.

إن الوصف الدقيق المحكم لما يراد درسه هو السبيل لتصوّره، إذ لا سبيل لتصوّر معنى لشيء ما إن لم يكن قد تحدّد وصفه، وبشكل يَحُدّ له حدوده بما يميّزه عن غيره، هذا الحدّ الدقيق يأتي من خلال الوصف.

ولا سبيل للحكم اليقيني على معنى شيء ما لم يتمّ تصوّره بشكل يجعله متفرّداً عن سواه، واضحاً لا يكتنفه لبس.

فلا إمكانية لإصدار حكم دون تصوّر، ولا إمكانية لتصوّر دون وصف دقيق يجلّي صورة الموصوف.

وحيث إن الوصف هو أحد المناهج البحثية -مع مراعاة الاختلاف حول التسميات-، وفيه يعمد الباحث إلى وصف محتويات موضوعه بغرض حلّ المشكلة التي حدّدها، لذلك فحاجة الباحثين للوصف لا تغادر بحثاً -كبُر أو صغُر- إلا ومازجته. إذ من المعروف أن الوصف يتطلّبه التفسير والقياس والتصنيف والمقارنة والتحليل والتركيب والاستنتاج[1].

وهكذا فإن اللغة التي تمتاز بدقة الوصف، والقدرة على امتلاك الرصيد

(1) جابر عبد الحميد جابر وأحمد خيري كاظم، **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، دار النهضة العربية-القاهرة، ط2، 1978م، ص136 (بتصرف).

الكبير من المفردات، هي -بلا أدنى شكّ- لغة علم، تصلح لأن يستعملها الباحث، بل وتساعده في تصوير ما يريد البحث فيه.

والنتيجة التي لا مراء فيها هي؛ أن اللغة العربية بما لديها من رصيد، لغة وصف، والوصف ضرورة بحثية، فالعربية لغة علم.